

ابو الحسن علي الحسيني الندوي

نظرة مؤسّس واع إلى المدينيات المعاصرة الزائفة

الناشر :

دار عرفات (للنشر والترجمة والتوزيع)

دارة الشيخ علم الله الحسيني راعي بريلي (الهند)

ابو الحسن علي الحسيني الندوي

نظرة مؤسّس واع إلى المرنّيات العامّة الزائفة

الناشر :

دار عرفات (للنشر والترجمة والتوزيع)

دارة الشيخ علم الله الحسيني رافى بريلى (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفقتهم فيه و رزق ربك خير و أبقى »
(قرآن كريم)

مطبعة ندوة العلماء لاسكهنو (الهند)

هذه المحاضرة

هذه المحاضرة القاها سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي في ٣/محرم الحرام ١٤١٧هـ (٢٣/١٢/١٩٧٦م) في الديوان الأميرى ، بمدينة أبو ظبى مركز الامارات العربية المتحدة في الخليج العربى ، التى زارها على دعوة من سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاة الشرعى ، و قد حضر الاجتماع عدد كبير من الوجهاء المثقفين والأسانذة والمربين و قدم المحاضر المؤثر إلى الحفل الكرم فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل البيللى قاضى المحكمة الشرعية ، وأشاد بجوانب شخصيته العديدة ومؤهلاته المتنوعة و كان للمحاضرة دوى فى جميع الأوساط .

و قد نقل هذه المحاضرة من الشريط الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى أستاذ الأدب العربى فى دارالعلوم ندوة العلماء ، و كان مراقباً للشيخ الندوى و أجرى عليها المحاضر تعديلات و إضافات مفيدة و نقل النصوص التاريخية بلغتها و أحال إلى المراجع ، و صحح بعض الأخطاء التى وقعت فى السكينة التى ارتبجها .

و ها هى بين يدى القراء منقحة مزيدة [

(الناشر)

رسالة ابن عمر الرضخ

قال بعد ما حمد الله تعالى و أثنى عليه بما هو أهله .
و صلى و سلم على نبيه ﷺ :
سادق و إخوانى ! قصة يرويها المؤرخون العرب ، نمر
بها مرأ سريعا عابرا ، تستحق منا لفتة كريمة عميقة . و بها
أفتتح حديثى هذا ، و لها اتصال وثيق بالموضوع ، و هى
تدل على وضعية نظرة المؤمن الواعى إلى المدينيات المعاصرة
الزائفة ، لعلمكم أيضا مررتم بهذه القصة فيما قرأتم من كتب
تاريخ الفتوح الاسلامية ، فى العصر الأول ، و لست أدرى
هل استوقفتم هذه القصة كما استوقفنى ، و هل استلهمتم منها تلك
المعانى الواسعة العميقة و النتائج الكبيرة الخطيرة التى استلهمتها .
وقد تلقت قصة أو حديث قارئاً من عامة القراء ، و لا يلفت
ذلك الحديث قراء آخرين ، و إن كانوا يفوقون القارىء الأول
فى كثير من الفضائل العلمية و النبوغ و بعد النظر و العمق .

قصة رواها المؤرخون العرب ، على عادتهم في بساطة
و اختصار ، و من غير تعليق و استنتاج ، يقولون : إن
« رستم » ، (١) قائد قواد الفرس طلب من سيدنا سعد بن
أبي وقاص قائد جيوش المسلمين في فارس أن يرسل إليه رجلاً
يستوضحه عن أغراض هذا الغزو الذي لم يكن للفرس به عهد ،
و لم يكن للعرب به شأن ، إنما عرف العرب بالانطواء على
نفوسهم في باديتهم قروناً طويلة ، فكانت هذه مفاجأة لم يكن
الفرس يتوقعونها ، و العرب قد عرفوا بالقناعة والتكشيف في
الحياة ، و الانعزال عن العالم الخارجي في عامة الأحوال .

(١) كان قائد الجيوش في إيران و وزير الحربية فيها و كان من أبطال
الفرس العدودين الذين يضرب بهم المثل في الشجاعة و الشدة ، و هو
الذي سعى في تنصيب الملك يزديجرد الثالث سنة ٦٣٢ م . و قلد مهمة دفع
العرب المسلمين حين قدومهم لفتح فارس و قتل سنة ٦٣٥ م (محرم ٥١٤هـ) في يوم
القادسية و كان من بيوتات السبعة التي تم شرفها ، و كانت قيمة قلفوته مائة
ألف و هي علامة من تم شرفه في ذلك العهد . (ملخصاً من كتب التاريخ)

و عدم الطموح إلى فتح امبراطوريات جاورتهم ، فلما خرج العرب لأول مرة في التاريخ الطويل يغزون فارس و الروم ، استلقت ذلك نظر المتأملين ، ونظر الذين واجهوا هذا الغزو وجهاً لوجه ، فأرسل سعد ، ربيعى بن عامر (١) ، و كان « رستم » قد بالغ في التزيين ، و بالأصح التهويل ، قد زين مجلسه بالفارق المذهبة والزراىن الحريرية ، وأظهر اليواقيت و اللآلى الثمينة و الزينة العظيمة و عليه تاج و غير ذلك من الأمتعة الثمينة ، و قد جلس على سرير من ذهب (٢) .
جاء ربيعى بن عامر لا يكثرث بشئى ، ولا يحتفل بهذه الزينة العظيمة ، التى لم يعهدا ، فجلس بجانب « رستم » كأنه جالس بجوار رجل من زملائه ، فقال « رستم » : ما جاء بكم ؟

(١) كان من الصحابة كما صرح به الحافظ ابن حجر فى كتابه « الاصابة فى تمييز

الصحابة » و كان من أشرف العرب ، و لاه الاحف على « طخارستان » .

راجع « الاصابة فى تمييز الصحابة » ج ١ ، ص ٥٠٣ .

(٢) راجع « البداية و النهاية » لابن كثير ج ٧ ص ٣٩ ، طبع بيروت ١٩٦٦ م .

فقال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنمدعهم إليه » (١) .

أيها الاخوة ! إننى لا أريد أن أتناول هذه الأجزاء الثلاثة التى جاءت فى هذه الكلمة البسيطة البليغة كلها شرحاً و إيضاحاً ، ولكننى أتناول شيئاً واحداً ، وهو قول ذلك المؤمن الواعى يخاطب « رستم » و هو فى غاية أجهته ، وفى زهوه ، و على قمة مجده ، يقول له : « من ضيق الدنيا إلى سعتها » إننى لا أستغرب قوله : « لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » و لا من قوله : « من جور الأديان إلى عدل الاسلام » فقد كان كل ذلك حقيقة بديهية للمسلمين الذين غرس رسول الله ﷺ عقيدة التوحيد فى نفوسهم ،

(١) البداية و النهاية لابن كثير ج ٧ ، ص ٣٩ طبع بيروت ١٩٦٦ .

و حُبب الله إليهم الايمان و زينه في قلوبهم ، و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان ، ينظرون إلى جميع أنواع الشرك و الوثنية و عبادة الانسان للانسان ، بعين الازدراء و الاحتقار ، وكانوا يعافونها ، وكانت أذواقهم تمجها و تأباها ، و كان ربهى بن عامر يعرف أن ملوك فارس و أمراءها قد استعبدوا الناس ، و كانوا يعاملونهم معاملة الآلهة للعباد ، لا معاملة السادة للعبيد ، و كان الناس يكفرون (١) لهم و يسجدون ، و يرون أنهم فوق البشر ، يجرى في عروقهم دم إلهى مقدس (٢) ، و كانوا يؤمنون بأن الاسلام هو الشريعة العادلة ، و أن غيره من الأديان قد أصبحت جائرة تستعبد الانسان للانسان ، و تسخره للأخبار و الرهبان ، و تقيد به بأغلال و قيود و أحكام ما أنزل الله بها من سلطان ،

(١) كثر الرجل للرجل : خضع بأن يضع يده على صدره ، و يطأ على رأسه ، و يتطأ من تعظيماً له .

(٢) راجع للتفصيل كتاب : إيران في عهد الساسانيين ، لآرتھر كرستن سين .

وقد قرأوا قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » (١) . و قرأوا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله » (٢) . و قد آمنوا بذلك وشاهدوا آثارها في الأمم والديانات التي عرفوها ، كمنصاري الروم ، و مجوس فارس ، و يهود المدينة .

ولو قال ربي بن عامر « لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » لم أستغرب ذلك ، لأنه آمن بالآخرة التي لا آخر لها ، و بالجنة التي لا حد لها و لا نهاية ،

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤ .

و قد قرأ في الكتاب الذي قرأه و آمن به و عاش فيه
« و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و الجنة عرضها السماوات
و الأرض ، أعدت للمتقين » (١) ، و يقول رسول الله
ﷺ في غزوة بدر : « قوموا إلى الجنة عرضها السماوات
و الأرض » (٢) ، و قال : « موضع سوط في الجنة خير
من الدنيا و ما فيها » (٣) .

ولكنني استغرب قوله : « من ضيق الدنيا إلى سعتها ،
هنا أسمايل : ما هو الضيق الذي كان فيه الفرس ، و ما هي
السعة التي كان فيها العرب ؟ حتى ساغ لربعي بن عامر رضي
الله عنه ، أن يقول : إنا معشر العرب المسلمين نريد أن
نُخرجكم أيها الفرس الأشقياء المنكوبون ! من ضيق الدنيا إلى

(١) آل عمران الآية ١٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضي الله عنه .

سمعتها . هل كان ما كان فيه العرب يستحق أن يسمى السعة ،
و هل كان ما كان فيه الفرس يستحق أن يسمى الضيق ؟
و نسأل التاريخ عن ذلك ، و هو شاهد عدل ، و تاريخ
العرب و تاريخ الروم و الفرس مسجل مدون ، لا يتطرق
إليه الشك ، قد جاء برواية الرواة العادلين الموثوق بهم ،
و تضافرت الروايات و الشهادات على ذلك ، فاذا كان
العرب يعيشون في مجبوحة من العيش ، لم يكن ذلك مجهولاً
أغفله التاريخ ، و إذا كان الفرس يعيشون في ضيق لم يكن
ذلك خافياً .

و قد قرر التاريخ و أجمع المؤرخون على أن الفرس
و الروم كانوا يعيشون في رغد من العيش ، و يتقلبون في
أعطاف النعيم ، قد اتسعت لهم الدنيا ، ولانت لهم الحياة ،
أما العرب فبالعكس كانوا يعيشون - حتى بعد الاسلام - في
شظف ، و كان العهد عهد خلافة عمر ، و كان الناس على

الفطرة - العربية الاسلامية - و كانت المدنية لم تتعقد
و لم تتوسع بعد ، و كان عمر - و هو خليفة المسلمين -
يعيش حياة متقشفة زاهدة ، و يأخذ الناس بالتقشف والتخشن
في الحياة ، و كانت هذه الحياة التي يحياها العرب في الجزيرة ،
حياة بدائة و تخلف في نظر الفرس و الروم ، و كانوا
يتأسفون على حالهم ، و يرون أنهم في جهد من العيش وضيق
من الدنيا .

فها تسام : ما هو الضيق الذي كان فيه الفرس ،
حتى رثى له ذلك المسلم العربي ، و ما كانت السعة التي كان
فيها العرب ، حتى افتخر بها ذلك الصحابي ؟ هل هو ضرب
من ضروب المبالغات الشعرية ؟ إن العرب لم يتعودوا ذلك ،
إن الاسلام لم يبيح لأى واحد من أفراد الأمة المسلمة أن
يتبجح (١) ، و يببالغ هذه المبالغة الشعرية ، إنهم كانوا يعيدون

(١) يتبجح : يفخر و يتمظم و يتباهى .

كل البعد عن المبالغات و القول الجراف ، كانوا أصحاب جد و صدق ، أصحاب صراحة و شجاعة ، فما هو الضيق إنه كان إذا دخل هذا المجلس بل إذا دخل في حدود المملكة الفارسية العظيمة ، كان جديراً كل الجدارة بأن يسيل لعابه ، و يتحلب فمه على هذه الزخارف التي كان يتمتع بها الفرس ، و على هذه الأنواع من الأطعمة والأشربة ، إنه لا يد قد شاهد الكثير من نفائس الأشياء و غوالي الطرف ، ومظاهر الحضارة و الأناقة والترف ، إنه واجه هذه المدينة الزاهية الزاهرة . التي بلغت قممها و مجدها ، فقد وسعها الفرس بذكائهم و اختراعاتهم ، و بتجارهم الطويلة الأمد ، وبمخاتهم الكثيرة و فتوحهم الواسعة ، و كانت فيها مدن بقصورها الفاخرة ، و مبانيها العظيمة ، و حدائقها الغناء ، ومنتزهاتها الساحرة . وأسواقها الزاخرة ، و طرفها ووارداتها العظيمة ، فمن أى نوع كان هؤلاء العرب الذين توردوا وقسوا على

الطائر

هذه المظاهر الفتانة ، المظاهر التي يجن بها الانسان جنوناً ؟
إنه لا ينقضى عجبى من قوله : « إن الله ابتعثنا (أيها
الفرس) لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، لماذا ؟ لأنه كان
ينظر إلى هؤلاء الملوك و الأمراء ، كما ينظر العاقل إلى دمي
قد كسيت ملابس فاخرة جميلة ، إلى تماثيل قد أحكمت
صناعتها . و تأنق صانعوها في تصوير قسماها و ملامحها .
و لكنهما على كل حال تماثيل من حجر ، أو جبس ، لاجياة
فيها ولا حراك بها ، كان ربيعى بن عامر - وهو أحد أفراد
الجيش الاسلامى - ينظر إلى « رسم » كطائر مدلل فى قفص
من ذهب ، و كان كسرى يزدجرد - الذى لم يره بعد -
كذلك كهندليب و كطاؤس أو كإى أجمل طائر ، لكنه على
كل حال ، طائر محبوس ، هذا الطائر يوضع فى قفص ،
و القفص من ذهب ، أسلاكه كلها من ذهب ، و الاناء الذى
يأكل و يشرب فيه الطائر ، من ذهب كذلك ، و ليكن هل

يحمد هذا الطائر أى إنسان عرف قيمة الحياة ، و عرف قيمة الحرية والشعور ، و عرف قيمة العقل ، و عرف قيمة العلم ؟ هل يحمد هذا الانسان الذى أكرمه الله بالانسانية ، يحمد هذا الطائر المدلل ، لأنه فى قفص من ذهب ، و هو فى بيت من مدر أو ويز ، بل نخطو خطوة أخرى ، هل نحمد كلباً مدللاً ، كلباً يربيه صاحبه الأوربى ، و يغذيه بأطيب الطعام و لذيق الفاكهة ، و يسقيه اللبن ، و يقلده قلادة ذهبية ، و يسيمه على فراش وثير ناعم ؟!

إن نظرة ربى بن عامر لم تكن تختلف عن نظرنا إلى طائر مدلل فى قفص ذهبى ، أو إلى كلب مدلل عند سيد أوربى ، و ذلك كله لأنه كان كبير الاعتزاز بالعتيدة التى آمن بها ، و بالدعوة التى حملها ، و بالشخصية التى ملكها ، و بالرسالة التى اضطلع بها ، و بالقرآن الذى درسه و شغف به ، و أحبه ، إنه كان معتزاً بالمعاني و بالقيم وبالحقائق التى

هى أسمى من تلك الزخارف والمظاهر ، فلم تبهره هذه المدنية ،
و لم تسحره مفاتهاها ، إنه كان يعرف أن « رستم » و لو
كان قائد قواد الفرس ، يعبد النار ، ثم إنه يعبد نفسه ، كما
أنه يعبد سيده ، و يعبد عاداته .

ولست القضية قضية « رستم » أو قضية قائد من القواد ،
أو أمير من أمراء الفرس ، بل هذا هو الشأن مع سيدهم
جميعاً ، مع الامبراطور يزدجر ، إنه كان يعرف أنه عبد
لعاداته ، أو عبد لعبيده ، لا يستطيع أن يتحرك إلا بهم ،
و لا يستطيع أن يصول و يجول إلا على أكتافهم ، إنه
ليس إنساناً حراً ، بأى معنى من معانى الكلمة ، بل هو
إنسان استعبده الشهوات ، و استعبده العادات ، و استعبده
الأعراف ، و استعبده المظاهر ، و استعبده النفس الأمارة
بالسوء ، و استعبده اللذات الجسدية الخسيسة ، و المطالب
الحيوانية الحقيرة .

أنتم تعرفون أن الامبراطور « يزدجرد » هو ثاني
الامبراطورين العظميين الذين توزعا العالم المتمدن المعمور :
كسرى إيران ، و قيصر الروم ، و قد انتهت بي دراستي
الحديثة للتاريخ المعاصر للفتح الاسلامي ، إلى أن إمبراطورية
الفرس كانت تفوق الامبراطورية البازنطينية ، كانت أوسع
منها ، و كانت ولايات من الهند تحت حكم الايرانيين ، منها
ولايات موعلة في الهند ، و لكن هذا الامبراطور العظيم ،
قد روى عنه التاريخ أنه لما هرب من عاصمته « المدائن » ،
تاجياً بنفسه ، و كان في حالة اللجوء والفرار ، حمل معه ألف
طاه (طباخ) هل تصدقون ألف طباخ ، و ألف مغن ،
و ألف قيم للصقور والتمور ثم كان يقول : يا ويل نفسي إنني لم
أخذ معي إلا هذا العدد القليل من الأعوان و من الخدم
و الحشم ، كان يقول أنا أستحق الرحمة و الرثاء ، فهل يعد
هذا الرجل رجلاً حراً سعيداً ، صاحب شخصية ، و صاحب

إرادة ، ثم إنه لما لجأ إلى عجوز فقيرة ، وقدمت له الطعام
وهي ترضى له ، وقد توسمت فيه الملك والشرف ، قال :
لا أستطيع أن استسيغ هذا الطعام حتى يغنى لي (١) .
إلى هذه النقطة وصلت عبوديتهم ، و وصل رقبهم ،
و وصل خضوعهم للعادات القاهرة ، إنه لم يكن يستطيع أن
يتناول طعاماً وهو في حاجة إلى الطعام ، حتى يغنى له المغنون
أما من غير أغنية ، فهو غير قادر على أن يتناول الطعام .
و نذكر أن « الهرمزان » - ملك الأهواز - و أحد
كبار أمراء الفرس - لما أسر ، و جاء إلى سيدنا عمر رضى
الله عنه في المدينة ، و كان - رضى الله عنه - نائماً في المسجد
متوسداً برنسه ، فاستيقظ بالجلبة ، و دار الحوار بينه و بين
عمر - رضى الله عنه - و شعر « الهرمزان » بالعطش فطلب

(١) راجع للتفاصيل « إيران في عهد الساسانيين ، لآرثر كريستنسن ، وكتاب

المؤلف « ماذا خسّر العالم بالحنطاط المسلمين » الفصل الثاني من الباب الأول

الماء ، فأتى به فى قدح غليظ ، فقال : لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا ، فأتى به فى إناء يرضاه ، فشرب (١) .
و نبه أمير المؤمنين أصحابه على ذلك ، و حثهم على الحمد لله تبارك وتعالى ، والشكر على نعمة الاسلام ، الاسلام الذى حررهم من هذه العبوديات ، و من هذه الأصنام التى يفتحها الانسان بنفسه ، ثم يفرضها على نفسه ، ويقول إبراهيم عليه السلام : « أتعبدون ما تتحتون » وهذه عادات وأعراف إنما نضعها نحن و نتفق عليها ، إنه لا يعتبر الانسان شريفاً إلا إذا سكن فى كذا من البيوت ، و ليس كذا من اللباس و ظهر فى المظهر الغلافى ، و كان له من الأثاث و الرياش كذا و كذا ، و إن الفرس فى العصر الذى نتحدث عنه ، كانوا يعيرون الرجل الكبير الذى لا تبلغ قيمة قلنسوته مائة ألف ، و من بلغ نصف الشرف ، كانت قيمة قلنسوته خمسين

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢١٧ ، و فتوح البلدان / ٣٧٤ .

ألفاً ، و كانت منطقة كبرأهم تقوم بخمسين ألفاً (١) .
و هذه الأعراف والمثل كلها من مخترعات الناس التي
« ما أنزل الله بها من سلطان » أليست هذه المدنية الأوربية
بمجموعة من الأعراف المصطنعة ، والقيود المزورة ، والمصطلحات
الموضوعة ، و الالتزامات التي التزمها الأوريون ومن قلدهم ،
ما هو مصدرها ، و من أين جاءت هذه الالتزامات التي
التزمناها ؟ و قد خضعنا لتأثير هذه الحضارة و ابتعدنا عن
الطبيعة و التقشف الذي عرف به العرب ، و حث عليه
المربون للإمة الاسلامية ، كعمر بن الخطاب رضى الله
عنه (٢) .

- (١) راجع تاريخ الطبرى ٤ / ٦ - ١١ - ١٣٤ .
(٢) فقد كتب إلى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم: « إياكم والتعم ورى
العجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب ، وتمعدوا (يعنى تشبهوا بعيش
معد بن عدنان، وكان ذا غلظ وتقشف) واخشوشنوا (أى تحششوا في المطعم
و الملابس) ... الخ » رواه البغوى عن عثمان النهدى .

و كان ربهى بن عامر بنظره البعيد ، و بايمانه القوى
و علمه العميق ، و إن كان قصير النظر فى عين كثير من
الذين يدعون العلم و المدنية ، ينظر إلى هذه الالتزامات التى
التزمها الفرس كقيود و أغلال ، و أطواق و أصفاد ، وهو
لا يعرف منها إلا قليلا ، و لكن الذى عرفه كان كثيراً ،
و كان كافياً للشهادة ، و بذلك استطاع أن يقول : « الله
ابتعثنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، أيها الفرس
لا تغرنكم أنفسكم ، ولا تخدعنكم هذه البهجة ، لا تخدعنكم هذه
المظاهر الجوفاء ، أنتم تعيشون فى قفص ، و القفص قفص ،
وإن كان من ذهب ، القفص قفص ، وإن كان من زجاج ،
القفص قفص و إن كان واسعاً سعة المدينة ، ولكنه قفص ،
ما هو السجن ، لماذا يسمى سجيناً ؟ ألا يكون واسعاً ، ألا
تكون فيه الغرف ، الغرف التى قد لا يوجد مثلها فى بيوت
كثير من أوساط الناس ، لكنه سجين على كل حال ، وليس

منا من يريد أن يعيش في السجن ، مهما توفرت فيه أسباب الراحة و الرفاهية ، و مهما اتسع و انفسح . و كانت فيه حدائق و برك ، و متاحف و منزهات .

إن هذا العربي المسلم الواعي الذي كان بعيداً عن كل ظل من ظلال ما نسميه اليوم : « مركب النقص » و من كل شبح من أشباح الانهزامية و فقدان الثقة ، لو عاش إلى هذا العصر ، لنظر إلى المدينة الغربية ، و المدينة الباذخة التي يعيشها العرب ، و المسلمون في كثير من بلادهم ، لنظر إليها بنفس النظرة التي نظر بها إلى المدينة الايرانية ، و المدينة الرومانية ، و لثى لأهلها كما رثى للفرس و الروم . و تمنى أن يخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، كما تمنى ذلك للفرس و الروم .

كان هذا العربي يتنعم بالحرية التي عرفه بها الاسلام ، فنقله من دنيا ضيقة محدودة خانقة : دنيا المعدة و المادة ،

و دنيا الشهوات و الأغراض ، و دنيا العبودية و الاستعباد ،
دنيا الحياة الفانية الزائلة المكدرة بالهموم و الأمراض ،
و الأحزان و الآلام ، إلى دنيا واسعة غير محدودة ، إلى
دنيا اليقين و الايمان ، إلى دنيا القلب و الروح ، و الايثار
و المواساة ، و العدل و المساواة ، و العطف و الرحمة ،
و الطيب و الصفاء ، و الخلود و البقاء ، دنيا لا كدر فيها
و لا فساد ، و لا خوف فيها و لا حزن ، إنه كان يتمتع
بهذا النعيم الذى حرمه الفرس و الرومان فى وقت واحد ،
فكان ينظر إلى مدينة الفرس و الروم و حياتهم كقفص ضيق
يختنق فيه الانسان الحر الكريم ، المؤمن الواعى ، كما تختنق
السمكة إذا أخرجت من الماء ، و وضعت على فراش وثير
ناعم أو فى علبة ذهبية مزخرفة .

هذه نظرة أعرابى مسلم ، فكيف نظرنا نحن أيها
الاخوان المثقفون ، أيها المعلمون الكبار ، يا أساتذة الجامعات

يا موجهى التربية و التعليم ، يا حملة الأعلام ، يا سائحون
فى أوربا ! كيف نظرنا إلى المدنية المعاصرة الزائفة ، هل
هناك نسبة بين نظرة ذلك الاعرابى الذى لاثقافة له ، و الذى
لم يعرف العالم مثلما عرفنا ، و لم يدرس التاريخ مثلما درسنا ،
و لم يعرف تجارب الأمم مثلما عرفنا ، و لم يقرأ الفلسفات
و لم يتعمق فيها كما تعمقنا ، هذه نظرة رجل من العرب ملاءه
رسول الله ﷺ ، و ملاءه الاسلام ثقة و اعترازاً ، و إيماناً
و شجاعة ، و احتقاراً للدنيا و معرفة للحقيقة ، كان يستطيع
أن يقول لأكبر قائد فى العالم المعاصر « رستم » ، الذى كان
اسمه يخلع القلوب ، و كان بعد كسرى ، و فوق كل قائد
و أمير فى فارس ، كان يستطيع أن يقول له و بصوت ملؤه
التحكيم و التهمك : أنا أرثى لك يا رستم ، أنت فى الشقاء ،
أنت فى ضيق من الدنيا ، ونحن العرب المسلمين الذين أبدانهم
نصف عارية ، و الذين أجفان سيوفهم بالية و ثيابهم مرقعة ،

ونعالمهم مخصوفة ، نحن نعيش في الجنة وأنت تعيش في جهنم .
ما الذي حمله على هذا القول ، القول الجريبي القوي ،
الكلمة المدوية المجلجلة ؟ إنما هو إيمانه و ثقته بشخصيته ،
و بفضل رسالته و التعاليم التي أكرمه الله بها ، فكم منا أيها
الاخوان ! قولوا لي بصراحة ، كم منا في جامعائنا ، و في
مكاتبنا ، و في مكاتبائنا ، و كم منا في أدبنا ، و في شعرنا ،
وصحافتنا ، من يستطيع أن يخاطب أوربياً أو أمريكياً ، يعيش
على فئات مائدتنا ، نحن الذين يغذونهم ، فلولا هذا النفط
الذي يفيض من جزيرتكم ، لما كان لأمريكا ، و لما كان
لأوروبا هذه الصولة ، الأوربي الذي أفلس في إيمانه ، و في
خلقه ، و في شخصيته ، و هو الآن مصاب بالجذام الخلقى ،
و بذلك دخلت حضارته في دور التفسخ و التعفن ، و هو
لا يعرف لها علاجاً و لا يملك لها زماماً ، تاجر مرتزق ،
مستأثر مستغل ، تنكر للمسيحية قبل مدة طويلة ، فانقطع آخر

خيوط كان يربطه بالسما و بالتنبوات و الأخلاق ، بل بالعكس
ننظر إليه نظرة تمجيد و إجلال . نظرة تقديس و تأليه ،
و نحتقر نفوسنا و حضارتنا و مثلنا و ديننا ، أمام حضارته
و مثله ، و نذوب أمامه كما يذوب الندى أمام الشمس ،
و الشمع أمام وهج النار ، ذاك العربي المسلم الذي عرف
قيمه و قيمة رسالته ، يقول لرستم « الله ابتعثنا لنخرج من
شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها » و الله إن هذه الكلمة
لو وضعت على الجبال لزالت ، ولو وضعت على البحر لتبخر ،
فكيف بالقلوب ، كيف بالنفوس ، كيف بالضمائر ، هذه
النظرة التي كان ينظر بها المؤمن الواعي في عصر الدعوة
الاسلامية الأول ، إلى المدنات المعاصرة الزائفة ، و هذه
النظرة التي يجب أن ينظر بها المؤمن الواعي اليوم إلى المدينة
المعاصرة الزائفة ، هذا الذي أريد أن أقوله اليوم و أتركه
أمانة لكم في هذه المدينة الجميلة الزاهية ، العاصمة التي قفرت

من الصحراء كزهرة جميلة ، فوصلت إلى هذه القمة من
المدينة ، أريد أن أقوله هنا ، وأرسله إلى أقصى ما أستطيع
أن أرسله إليه .

يجب أن ينظر العرب ، يجب أن ينظر المسلمون في
مشارك الأرض ومغارها ، بهذه النظرة الواعية ، بهذه النظرة
المؤمنة المملوءة بالاعتزاز ، إلى المدينة الزائفة المعاصرة التي
تحيط بنا ، لسنا متفقلين ، لسنا أدياء (١) ، لسنا من الذين
لفظتهم الأرض ، ما لنا نسب ، ما لنا أصالة ، ما لنا تراث ،
ما لنا حضارة ، ما لنا تاريخ ، ما لنا أجداد و لا أجداد ،
لا ، لا ، أيها السادة ' إننا أغنياء ، إننا معلون للعالم ، إننا
موجهون للأمم ، لكن ما هو الواقع المرير الأليم ، الواقع
إننا مسيرون لا مخيرون . أننا موجهون - بفتح الجيم -
لا موجهون - بكسر الجيم - إننا تلاميذ لا أساتذة ، إننا

(١) أدياء : جمع دعي وهو المتهم في نسبه، والذي يدعي غير أبيه أو غير قومه .

متطفلون ، لسنا أصحاب موائد ، وأصحاب كرم ، لسنا أصحاب شخصية .

وجزى الله المؤرخين العرب المسلمين الذين حفظوا هذه الكلمة الخالدة التي تلقى الأضواء على شخصية العرب الأولين الذين أكرمهم الله تعالى بالرسالة الاسلامية الخالدة ، و التي كانوا معترزين بها كل الاعتزاز ، مكتفين بها كل الاكتفاء ، و كانوا يعتبرونها أفضل من كل شئ ، و كانوا يرون أن الشئ الذي لا ينبع من هذا المصدر ، و لا يرجع إلى هذا الأصل ، إنه شئ لاقرار له ، و إنه شئ لا قيمة له .

هكذا يجب أن يكون موقفنا إزاء المدنيات ، إزاء التحديات الجديدة التي تتحدانا بها هذه المدنية ، وهذه الفلسفات المعاصرة ، ليكن موقفنا موقف عملاق معتمد بكرامته ، معتر بشخصيته و رسالته ، مستخدم لعقله ومواهبه ، حر في رفضه وقبوله ، مقتبس منها ما ينفعه و لا يضره ، ويطابق أهدافه

و مثله و لا ينافيها ، و يضي عليه قوة جديدة ، و لا يوهن
هيكله و ينخره ، لا موقف قزم فقد الثقة و خسر الايمان ،
و تضامل و انضوى أمام كل شبح من أشباح القوة و السلطان ،
و أحب الحياة و أشفق من الموت ، و بعد عن ميدان
المغامرة و الطموح ، و الأصالة و الابتكار ، و الامامة
و القيادة ، فهو ينظر إلى المدينة المعاصرة الزائفة كما ينظر طفل
صغير واقف في سفح جبل ، إلى قلته ، يتمنى لو ارتقى إليها .
و أختتم حديثي هذا بمقطوعة شعرية لشاعر الاسلام
الدكتور محمد إقبال ، خاطب فيها الشباب المسلم المثقف ،
الذي سحرته المدينة الغربية ، فجهل شخصيته ، و جهل أبعادها ،
و أعماقها ، و مضمراتها و مكنوناتها ، فعشق المادة ، وعاش
في خوف من الموت ، يقول :

• عجباً لك أيها المسلم ! تجلت لك الآفاق ، و غابت
عني نفسك ، إلى متى تظل غافلاً جاهلاً ، و تجلس ضائعاً

عاطلاً ، إنك نور قديم ، فأثر به الليل البهيم ، في كرك اليد
البيضاء ، فاعمل بها عمل الكليم (١) ، تخط حدود الآفاق
الضيقة ، فأنت السابق لها ، و الفائق عليها ، فقد كنت
و لم تكن ، و ستكون و لا تكون ، هل تخاف الموت أيها
الانسان الحى الخالد ؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك ،
فأنت تكمن له وترصد به ، اعلم يقيناً ، أن الكريم إذا وهب
شيئاً لا يسلبه ، ولا يسترده ، و ليس حتف ابن آدم فى فراق
الروح ، إنما حتفه فى ضعف الايمان و الحرمان من اليقين • (٢)



(١) يعنى بها موسى الكليم .

(٢) • رواضع اقبال • ص ٩٨ • تعديل يسير .

الرائد

عربية إسلامية نصف شهرية
يصدرها النادي العربي بدار العلوم ندوة العلماء

- رئيس المجلس : محمد الرابع الحسنى الندوى
- نائب الرئيس : سعيد الأعظمى الندوى
- رئيس التحرير : واضح رشيد الندوى

الاشتراكات السنوية

♦♦ ٢٢ روبية للهند

♦♦ وجنيدان ونصف جنيه استرليني للخارج بالبريد السطحي

♦♦ خمسة جنيهات بالبريد الجوى

العنوان :

إدارة الرائد ، النصف الشهرية

دار العلوم ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

★ رئيس التحرير : محمد الحسنى

★ مدير التحرير : سعيد الأعظمى

المراسلات

العنوان : «البعث الإسلامى» ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) ص ب ٩٣

برقياً : NADWA Lucknow ، الهاتف : ٩٢١٧٤ - ٢٢٩٤٨

الاشتراكات السنوية

★ في الهند : ٢٥ روبية ، ثمن النسخة : روبيتان و ٥٠ بيسة

★ في العالم العربى : ٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها

بالبريد العادى و ١٢ دولاراً بالبريد الجوى

★ في أفريقيا الجنوبية و الشمالية و أمريكا و أوربا :

١٥ دولاراً بالبريد الجوى — ٦ دولارات بالبريد العادى .

★ في باكستان : ٥٠ روبية بالبريد العادى مع أجرة البريد .

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » كراجى

رقم ١٤ - باكستان .

رسائل و محاضرات للمؤلف

- ١- منهج أفضل للدعاة والعلماء .
- ٢- خليج بين الاسلام والمسلمين .
- ٣- ردة و لا أبا بكر لها .
- ٤- عاصفة يواجهها العالم الاسلامي والعربي .
- ٥- نحن الآن في المغرب .
- ٦- تعالوا نحاسب نفوسنا وقادتنا .
- ٧- نظامان إلهيان للغلبة والانتصار .
- ٨- مؤاماة أم مساواة ؟
- ٩- بين الصورة والحقيقة .
- ١٠- إسمعي يا مصر .
- ١١- الفتح للعرب المسلمين .
- ١٢- إسمعي يا إيران .
- ١٣- كارثة العالم العربي .